

والحديث في هذه الآية عمن أضله اﷻ على علم، يشعرا بأن أصحاب هذه الفكرة كانوا من الذين يستخدمون العلم في التلبيس والمجادلة.

((وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يطننون)).

وقد عاجلهم اﷻ بعد ذكر فكرتهم بالرد المنبئ عن خلوها من الدليل والبرهان العلمي: ((وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يطننون)).

ومن هنا نأخذ أن الذين يتشدقون بالفروض العقلية، ويحاولون أن يثيروا بها على العقائد الدينية جدالا وسفسطة، إنما يضربون في أودية من الظن والخيال، ومن العجيب أنهم يعترفون بأن أحكامهم في ذلك إنما تقوم على افتراضات ذهنية، وتعليلات متخيلة، ومع ذلك يأخذون بها، ويتركون ما جاء عن اﷻ ورسوله، بحجة أن العلم شيء والدين شيء آخر، فهل الفروض والتخيلات تنتج علما، والنقول الصحيحة عن العليم الخبير لا تنتج هذا العلم؟ الواقع أن هذا التواء في التفكير، وأن هذا الالتواء قديم، ولهذا الخلف فيه سلف هم على آثارهم مقتدون ((وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يطننون)).

ونعود إلى الآيات فنستكملها أما القاريء ليتابع الفكرة فيها:

((وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم ألا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين، قل اﷻ يحييكم ثم يجمعكم إليوم القيامة لا ريب فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وﷻ ملك السموات والارض)) أي والمالك الحكيم القادر لا يترك ملكه سدى، ولا يملكه عبثا ((ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون)).

يتبين من هذا أن منهج القرآن في هذه الفكرة، يقوم على الاقتصاد في ذكرها وعدم التفصيل لها، كراهية منه لأساليب المتكلفين والمغربين، وحرصا على أن يكون خطابه موجها إلى الفطرة في صفائها، وألا يهيج على هذه الفطرة ما لا يلائمها، أو ما يشق عليها، ولكنه يهاجم هذه الفكرة هجوما عنيفا من ناحية بيان أن اﷻ خلق الخلق بالحق- أي وما لا غاية له لا يكون بالحق، وإنما يكون لهوا وعبثا